# غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ

## تَارِيخُهَا وَأَسْبَابُهَا:

اختلف أهل المغازى والسير فى تاريخ هذه الغزوة، فقد ذهب البخارى إلى أنها كانت بعد خيبر، وعند الواقدى وابن سعد أنها كانت فى المحرم سنة خمس [١]، وذهب ابن إسحاق إلى أن النبى ﷺ أقام بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر، وبعض جُمادَى سنة أربع من الهجرة، ثم غزا نجدًا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان[٢]

وذكر البوطى أن تاريخ الغزوة كان فى السنة الرابعة للهجرة بعد مرور شهر ونصف تقريبًا على إجلاء بنى النضير، وقال بأن هذا الرأى ذهب إليه أكثر علماء أهل السير والمغازى [٣] وإليه ذهبت.

أما سبب الغزوة ما ظهر من الغدر لدى كثير من قبائل نجد بالمسلمين؛ ذلك الغدر الذى تجلى فى مقتل أولئك الدعاة السبعين الذين خرجوا يدعون إلى الله - تعالى- فخرج - عليه الصلاة والسلام- قاصدًا قبائل محارب وبنى ثعلبة [٤].

وقد ذكر الدكتور على محمد الصلابى أن قادمًا قدم المدينة فأخبر المسلمين أن بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان قد جمعوا الجموع لحرب رسول الله ﷺ، فما كان منه ﷺ إلا أن سارا إليهم فى عقر دارهم على رأس أربعمائة مقاتل، وقيل: سبعمائة مقاتل، ولما وصل رسول الله ﷺ إلى ديارهم خافوا وهربوا إلى رؤوس الجبال؛ تاركين نساءهم وأطفالهم وأموالهم وحضرت الصلاة فخاف المؤمنين أن يغيروا عليهم، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة [٥].

## سَبَبُ تَسْمِيَتِهَا بِذَاتِ الرِّقَاعِ:

سميت بذات الرقاع؛ لأنهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق والرقاع؛ اتقاء الحر وقيل: لأنهم رقعوا راياتهم وقيل: لشجرة كان اسمها ذات الرقاع، وقيل: لأن

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢١٩).
(٢) ابن هشام ١ / ٤٧٣.
(٣) فقه السيرة للبوطي ص ٢٠٦.
(٤) فقه السيرة للبوطي ص ٢٠٧.
(٥) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢١٩).

المسلمين نزلوا فى أرض كان فيها بقع بيض وسود مختلفة فسميت بذلك، والصحيح لأنهم كانوا يربطون على أرجلهم من الخرق، وقد روى الشيخان بسنديهما عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ[١]: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنْ الْخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا[٢].

**صَلاَةُ الخَوْفِ:**

أنزل الله - تعالى- على نبيه ﷺ صلاة الخوف فى هذه الغزوة وبين القرآن الكريم صفة الصلاة ساعة مواجهة العدو قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [النساء: ١٠٢][٣].

وفى رواية البخارى: وأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين، وكان للنبى ﷺ أربع، وللقوم ركعتان[٤].

**حِرَاسَةُ الثُّغُورِ:**

عندما رجع الجيش الإسلامى من غزوة ذات الرقاع سبوا امراة من المشركين، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يهريق دمًا فى أصحاب محمد ﷺ فجاء ليلاً وقد جعل الرسول ﷺ رجلين على الحراسة أثناء نومهم وهما عباد بن بشر وعمار بن ياسر[٥].

فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال عباد بن بشر لعمار بن ياسر: أي الليل تحب أن أكفيكه أوله أم آخره؟ قال: بل اكفنى أوله فاضطجع عمار فنام، وقام عباد يصلى؛

---

(١) رواه البخاري ٤١٢٨، مسلم ١٨١٦.
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢٠).
(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢٠).
(٤) الرحيق المختوم ص ٣٢٨.
(٥) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢١).

فضرب عباد بسهم وهو قائم يصلي فنزعه ، ولم يقطع صلاته ؛ حتى رشقه بثلاثة سهام ، فلم ينصرف منها حتى سلم ، فأيقظ صاحبه فقال: سبحان الله أفلا أهببتنى أول ما رماك؟ قال: كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها ، فلما تابع عليَّ الرمى ركعت فأذنتك ، وايم الله لولا أن أضيع ثغرًا أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفذها [١] .

**جِئْتُكُم مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ:**

عندما قفل رسول الله ﷺ من غزوة ذات الرقاع أدركته القافلة في واد كثير العضاة ولندع جابر رضى الله عنه يصف الموقف بنفسه ؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ[٢]: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ الْقَائِلَةُ وَهُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَاسْتَظَلَّ بِهَا وَعَلَّقَ سَيْفَهُ[٣] فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ وَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «**إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا**» قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: «**اللَّهُ فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا**» قَالَ: وَلَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

قال جابر: فإذا رسول الله ﷺ يدعونا ، فجئنا فإذا عنده أعرابى جالس فقال رسول الله ﷺ : «**إن هذا اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت، وهو فى يده صلتا فقال لى: من يمنعك منى؟ قلت: الله فهـا هو ذا جالس**» ثم لم يعاتبه رسول الله ﷺ ، وفى رواية أبى عوانة: فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله ﷺ فقال: «**من يمنعك منى؟**» قال: كن خير آخذ قال: «**تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسـول الله؟**» قال الأعرابى: أعاهدك على ألا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك قال: فخلى سبيله فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس[٤] .

**مَوْقِفُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ رضى الله عنه :**

قَالَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مُرْتَحِلاً عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَعَلْتُ الرِّفَاقُ تَمْضِي وَجَعَلْتُ

(١) ابن هشام (١ / ٤٧٧ - ٤٧٨) .
(٢) رواه البخاري ٤١٣٩ .
(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢٢) .
(٤) الرحيق المختوم (٣٢٨ - ٣٢٩) .

أَتَخَلَّفُ حَتَّى أَدْرَكَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ[١]: «مَا لَكَ يَا جَابِرُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا قَالَ: فَأَنَخْتُهُ وَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ أَوْ قَالَ: اقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ قَالَ: فَفَعَلْتُ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَخَسَهُ بِهَا نَخَسَاتٍ ثُمَّ قَالَ: ارْكَبْ فَرَكِبْتُ فَخَرَجَ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ يُوَاهِقُ[٢] نَاقَتَهُ مُوَاهَقَةً قَالَ: وَتَحَدَّثَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَتَبِيعُنِي جَمَلَكَ هَذَا يَا جَابِرُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَهَبُهُ لَكَ قَالَ: لا وَلَكِنْ بِعْنِيهِ قَالَ: قُلْتُ فَسُمْنِي بِهِ قَالَ قَدْ قُلْتُ أَخَذْتُهُ بِدِرْهَمٍ قَالَ: قُلْتُ لا إِذًا يَغْبُنُنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَبِدِرْهَمَيْنِ قَالَ: قُلْتُ لا قَالَ فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ الأُوقِيَّةَ قَالَ: قُلْتُ فَقَدْ رَضِيتُ قَالَ قَدْ رَضِيتَ قُلْتُ نَعَمْ قُلْتُ هُوَ لَكَ قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي يَا جَابِرُ هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَثَيِّبًا أَمْ بِكْرًا قَالَ قُلْتُ بَلْ ثَيِّبًا قَالَ أَفَلا جَارِيَةً تُلاعِبُهَا وَتُلاعِبُكَ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ بَنَاتٍ لَهُ سَبْعًا فَنَكَحْتُ امْرَأَةً جَامِعَةً تَجْمَعُ رُءُوسَهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ قَالَ: أَصَبْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ أَمَا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَارًا[٣] أَمَرْنَا بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَسَمِعَتْ بِنَا فَنَفَضَتْ نَمَارِقَهَا[٤] قَالَ قُلْتُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ نَمَارِقَ قَالَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتَ فَاعْمَلْ عَمَلاً كَيِّسًا قَالَ فَلَمَّا جِئْنَا صِرَارًا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ فَأَقَمْنَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ وَدَخَلْنَا قَالَ: فَأَخْبَرَتْ الْمَرْأَةَ الْحَدِيثَ وَمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ فَدُونَكَ فَسَمْعًا وَطَاعَةً قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى أَنَخْتُهُ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ قَالَ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى الْجَمَلَ فَقَالَ مَا هَذَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ قَالَ فَأَيْنَ جَابِرٌ فَدُعِيتُ لَهُ قَالَ: تَعَالَ أَيْ يَا ابْنَ أَخِي خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ فَهُوَ لَكَ قَالَ فَدَعَا بِلالاً فَقَالَ اذْهَبْ بِجَابِرٍ فَأَعْطِهِ أُوقِيَّةً فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَأَعْطَانِي أُوقِيَّةً وَزَادَنِي شَيْئًا يَسِيرًا قَالَ فَوَاللَّهِ مَازَالَ يَنْمِي عِنْدَنَا وَنَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا حَتَّى أُصِيبَ أَمْسِ فِيمَا أُصِيبَ النَّاسُ يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَّةِ»[٥] [٦].

---

(١) رواه أحمد ١٤٦٠٨ .

(٢) يواهق: يباري في السير .

(٣) صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

(٤) نمارق: جمع نمرقة وهي الوسادة الصغيرة .

(٥) يريد وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية .

(٦) ابن هشام (١ / ٤٧٥ - ٤٧٦) .

**العِبَرُ وَالعِظَاتُ:**

تنطوى غزوة ذات الرقاع على مشاهد ذات دلالات هامة يجب دراستها والاعتبار بها منها:-

١- ما رواه الشيخان عن أبى موسى الأشعرى فى بيان سبب تسمية هذه الغزوة بذات الرقاع صورة واضحة عن مدى ما كان يتحمله الصحابة فى تبليغ رسالة ربهم والجهاد فى سبيله ، لقد أوضحت الصورة أنهم كانوا فقراء لا يجدون ؛ حتى الظهر الذى يمتطونه لجهادهم وغزواتهم ، فالستة أو السبعة يتبادلون ركوب بعير واحد فى قطع مسافة بعيدة شاقة ، ولكن الفقر لم يستطع مع ذلك أن يعقيهم عن أداء رسالتهم فقد تحملوا فى سبيل ذلك كل النتائج وكل ألوان المحن . . نقبت أقدامهم من طول سيرها على الوعثاء والقتاد ، وتساقطت أظافرهم مما اصطدمت بالحجارة والصخور ، وتعرَّت أقدامهم فلم يجدوا إلا الخرق يلفونها عليها الواحدة فوق الأخرى ، ومع ذلك فما ضعفوا وما استكانوا واستهانوا بكل ذلك فى جنب عظم المسئولية الإلهية الملقاة على أعناقهم منذ أن أصبحوا مسلمين فقد كانوا قال يمتثلون قول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: ١١١] .

٢- دل تشريع صلاة الخوف على أهمية الصلاة فحتى فى قلب المعركة لا يمكن التساهل فيها ولا يمكن التنازل عنها مهما كانت الظروف ، وبذلك تندمج الصلاة والعبادة بالجهاد وفق المنهاج النبوى فى تربية الأمة الذى استمد من كتاب الله - تعالى- فلا يوجد أى انفصال بين العبادة والجهاد [١] .

٣- وفى حادثة حراسة الثغور دروس وعبر منها:-

أ- اهتمام النبى ﷺ بأمن الجنود ويظهر ذلك فى اختياره رجلين من خيار الصحابة لحراسة الجيش ليلاً .

ب- تقسيم الحراسة ونلاحظ أن الرجلين اللذين أُنيطَت بهما حراسة الجيش قد

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢١) .

اقتسما الليل نصفين ؛ نصفًا للراحة ونصفًا للحراسة ؛ إذ لا بد من راحة جسم الجندى بعض الوقت .

ج- التعلق بالقرآن الكريم وحب تلاوته ؛ فقد كان حبه لتلاوته قد أنساه آلام السهام التى كانت تنغرس فى جسمه وتثج الدم منه بغزارة .

د- الشعور بمسئولية الحراسة فلم يقطع عبادة صلاته لألم يشعر به ؛ وإنما قطعها استشعارًا بمسئولية الحراسة التى كلف بها ، وهذا درس بليغ فى مفهوم العبادة والجهاد[١]

هـ - لابد من أن يقف المسلم وقفة متأملة طويلة أمام خبر الصحابيين ، وهما يقومان على الثغر الذى أمرهما رسول الله ﷺ بحراسته ؛ ليعلم طبيعة الجهاد الإسلامى ، وكيف كان يمارسه أصحاب رسول الله ﷺ ؛ فلم يكن الجهاد عملاً حركيًا يقوم على أساس المقاومة المادية المجردة وإنما الجهاد كما علمه رسول الله ﷺ أصحابه ، وكما فهمه الصحابة منه عبادة كبرى ؛ يتعلق فيها كيان المسلم كله بخالقه - جلا جلاله- خاشعًا مستغيثًا متبتلاً وما ساعة يكون فيها المؤمن أقرب إلى ربه - جل جلاله- من تلك الساعة التى يستدبر فيها الدنيا ويستقبل بوجهه شطر الموت والاستشهاد[٢] .

٤- قصة المشرك الذى أخذ سيف رسول الله ﷺ وهو نائم تحت الشجرة دليل على نبوة محمد ﷺ وفرط شجاعته وقوة يقينه وصبره على الأذى وحلمه على الجهال[٣] .

وهى تكشف عن رعاية البارئ - جل جلاله- وحفظه لنبيه ﷺ ثم هى تزيدك يقينًا بالخوارق التى أخضها الله - جل جلاله ﷻ مما يزيدك تبصرًا ويقينًا بشخصيتة النبوية ؛ فقد كان من السهل الطبيعى بالنسبة لذلك المشرك وقد أخذ السيف ورفعه فوق النبى ﷺ وهو أعزل غارق فى غفلة النوم أن يهوى به عليه فيقتله ، وإنك لتلمس من ذلك المشرك هذا الاعتزاز بنفسه والزهو بالفرصة الذهبية التى أمكنته من رسول الله ﷺ فى قوله: «**من يمنعك منى؟**».

فما الذى طرأ بعد ذلك حتى عاقه عن القتل ؛ إن الذى طرأ هو ما لم يكن فى حساب المشرك وتقديره ألا وهو عناية الله وحفظه لرسوله ؛ فقد كانت العناية الإلهية

---

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢١ - ٢٢٢) .
(٢) فقه السيرة للبوطي ص ٢١٣ .
(٣) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢٣) .

كافية لأن تملأ قلب المشرك بالرعب ، وأن تقذف فى ساعدية تيارًا من الرجفة فيسقط من يده السيف ثم يجلس متأدبًا مطرقًا بين يدى رسول الله ﷺ ، وأهم ما يجب أن تعلمه من هذه الحادثة أن هذا هو مصداق قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

فليست العصمة المقصودة فى الآية أن لا يتعرض لأذى أو محنة من قومه ؛ إذ هى تلك هى سنة الله فى عبادة كما قد علمت ، وإنما المراد من العصمة أن لا تطول إليه أى يد تحاول اغتياله وقتله ؛ لتغتال فيه الدعوة الإسلامية التى بعث لتبليغها[١] .

٥- وفى قصة معاملة الرسول ﷺ لجابر صورة جميلة ورفيعة لخلق رسول الله ﷺ مع أصحابه من حيث لطف الحديث والتواضع الرفيع ورقة الحديث وفكاهة المحاورة ومحبة شديدة لأصحابة والوقوف على أحوالهم والمواساة فى مشكلاتهم الاجتماعية ماديًا ومعنويًا ، فقد شعر الرسول ﷺ أن سبب تأخر جابر عن الركب هو ضعف جمله ، الذى لا يملك غيره لبؤس حاله ؛ حيث إن والده مات شهيدًا فى أحد ، وترك له مجموعة من البنات والأولاد ؛ ليرعاهم وهو مقل فى الرزق[٢] .

**غَزْوَةُ بَدْرٍ الْمَوْعِد :**

خرج رسول الله ﷺ من المدينة تنفيذًا للموعد الذى كان أبو سفيان قد اقترحه فى أعقاب معركة أحد على رأس جيش ؛ قوامه ألف وخمسمائة مقاتل بينهم عشرة من الخيالة[٣] ، وحمل لواء علي بن أبى طالب واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة ، وانتهى إلى بدر فأقام بها ينتظر المشركين وذلك فى شعبان سنة ٤هـ .

وأما أبو سفيان فخرج فى ألفين من مشركى مكة ومعهم خمسون فرسًا ؛ حتى انتهى إلى مَرِّ الظهران على بعد مرحلة من مكة فنزل بمجنة[٤] .

خرج أبو سفيان من مكة متثاقلاً يفكر فى عقبى القتال مع المسلمين ، وقد أخذه الرعب واستولت على مشاعرة الهيبة ، فلما نزل بمر الظهران خار عزمه فاحتال للرجوع ،

---

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٢١٢ .
(٢) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢٤) .
(٣)السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٢٢٥) .
(٤) مجنة: ماء في تلك الناحية .

وقال لأصحابه: يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن وإن عامكم هذا عام جدب، وإنى راجع فارجعوا، ويبدو أن الخوف والهيبة كانت مسئولية على مشاعر الجيش أيضًا، فقد رجع الناس ولم يبدوا أى معارضة لهذا الرأى ولا أى إصرار وإلحاح على مواصلة السير للقاء المسلمين.

وأما المسلمون فأقاموا ببدر ثمانية أيام ينتظرون العدو، وباعوا ما معهم من التجارة فربحوا بدرهم درهمين ثم رجعوا إلى المدينة، وقد انتقل زمام المفاجأة إلى أيديهم، وتوطدت هيبتهم فى النفوس وسادوا على الموقف، وتعرف هذه الغزوة ببدر الموعد وبدر الثانية وبدر الآخرة وبدر الصغرى[1].

**غَزْوَةُ دَوْمَةِ الجَنْدَل:**

خرج إليها رسول الله ﷺ فى ربيع الأول سنة خمس، وذلك أنه بلغه أن بها جمعًا كثيرًا يريدون أن يدنوا من المدينة، وبينهما وبين المدينة خمس عشرة ليلة، وهى من دمشق على بُعْد خمس ليال؛ فاستعمل على المدينة سباع بن عُرفطة الغفارى، وخرج فى ألف من المسلمين ومعه دليل من بنى عذرة يقال له: مذكور؛ فلما دنا منهم إذا هم مغرِّبون وإذا أثار النَّعم والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحدًا فأقام بها أيامًا وبث السرايا وفرق الجيوش فلم يصب منهم أحدًا، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ووادع فى تلك الغزوة عُيينة بن حصن[2].

* * *

(١) الرحيق المختوم ٢٦٥ - ٢٦٦.

(٢) سيرة الرسول أبو عمار ٣٥٨.

# أَهَمُّ الأَحْدَاثِ الاجْتِمَاعِيَّةِ فِي العَامِ الخَامِسِ الهِجْرِيِّ

## زَوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رضى الله عنها:

وها هى قصة زواج النبى ﷺ بزينب بنت جحش رضى الله عنها؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة عن طريق السدى فساقها سياقًا واضحًا حسنًا ولفظه: (بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه، فكرهت ذلك ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله ﷺ فزوجها إياه، ثم أعلم الله - عز وجل- نبيه ﷺ بعد أنها من أزواجه؛ فكان يستحى أن يأمر بطلاقها وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله أن يمسك عليه زوجه وأن يتقى الله وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا: تزوج امرأة ابنه، وكان قد تبنى زيدًا وعنده من طريق على بن زيد عن على بن الحسين بن على قال: أعلم الله نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد يشكوها إليه وقال له: «**اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله: قد أخبرتك أنى مزوجكها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه**».

## وَهَكَذَا أَصْبَحَتْ أُمًّا لِلْمُؤْمِنِينَ:

فلما طلق زيدٌ زينبَ - رضى الله عنهما- وانقضت عدتها تزوجها رسول الله ﷺ؛ لتنال أعظم منقبة فى الكون كله فتكون زوجة لسيد الأولين والآخرين ﷺ، ولتكون أمًّا للمؤمنين عَنْ أَنَسٍ قَالَ لَمَّا انْقَضَتْ عِدَّةُ زَيْنَبَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِزَيْدٍ[1]: «**فَاذْكُرْهَا عَلَيَّ**» قَالَ فَانْطَلَقَ زَيْدٌ حَتَّى أَتَاهَا وَهِيَ تُخَمِّرُ عَجِينَهَا قَالَ فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي حَتَّى مَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَيْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَهَا فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي وَنَكَصْتُ عَلَى عَقِبِي فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكِ قَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئًا حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي

---

(١) رواه مسلم ١٤٢٨.

فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذن قَالَ: فَقَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النَّهَارُ فَخَرَجَ النَّاسُ وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ الطَّعَامِ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاتَّبَعْتُهُ فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسَائِهِ يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيَقُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ؟ قَالَ: فَمَا أَدْرِي أَنَا أَخْبَرْتُهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَرَجُوا أَوْ أَخْبَرَنِي قَالَ: فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ فَذَهَبْتُ أَدْخُلُ مَعَهُ فَأَلْقَى السِّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَنَزَلَ الْحِجَابُ قَالَ: وَوُعِظَ الْقَوْمُ بِمَا وُعِظُوا بِهِ، زَادَ ابْنُ رَافِعٍ فِي حَدِيثِهِ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ الْحَقِّ﴾[الأحزاب: ٥٣] (١).

* * *

(١) سيرة الرسول أبو عمار ٤١٤ - ٤١٥ .